

الحلقة (٢٠)

موضوع الحلقة: تفسير الآية (١٨٧) من سورة البقرة.

يقول الله تعالى {أَحَلَّ لَكُم لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرِبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}

◀ سبب نزول الآية جاء في ذلك عدة روايات:

منها ما رواه البراء بن عازب قال: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فنام قبل أن يفطر لم يأكل إلى مثله، أي يستمر على الصيام، إذا نام ولم يأكل شيئاً يستمر إلى الغد، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، وكان يومه ذلك يعمل في أرضه، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك فغلبته عينه فنام، فلما جاءت امرأته رأتة نائماً قالت: خيبة لك أنمت؟ فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، ففرحوا بها فرحاً شديداً."

وعن ابن عباس قال: "كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة، ثم إن أناساً من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية."

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية، إذا صلوا العشاء الآخرة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء حتى يفطروا، وإن عمر بن الخطاب أصاب أهله بعد صلاة العشاء، وأن صرمة بن قيس غلبته عيناه بعد صلاة المغرب فنام ولم يشبع من الطعام، ولم يستيقظ حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء، فقام فأكل وشرب، فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، فنزلت هذه الآية."

يقول الله تعالى: {أَحَلَّ لَكُم لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} أي: أحلَّ لكم ليلة الصيام رخصةً من الله ورفعاً لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القادمة.

الرفث: الجماع، قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد وغيرهم لأن الله سبحانه وتعالى كريمٌ يكتفي، قال

الزجاج والأزهري: كل ما يريده الرجل من امرأته.

قوله تبارك وتعالى: {هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ} هذا من بديع الأسلوب وجمال الكلام، قال ابن عباس: هنّ سكن لكم وأنتم سكن لهن، وقال الربيع ابن أنس: هنّ لحاف لكم وأنتم لحاف لهم. وحاصله: أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسّه ويضاجعه، فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان لئلا يشق ذلك عليهم ويخرجوا، كأن الرجل مع امرأته يشتمل عليها وتشتمل عليه، وفي هذا بيان مدى الالتصاق والتقارب النفسي والبدني والاجتماعي بين الرجل وامرأته.

قوله تبارك وتعالى: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ} أي يستأمر بعضكم بعضاً في موقعة المحذور من الجماع، والأكل بعد النوم في ليالي الصوم، كقوله تعالى {تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ} أي: يقتل بعضكم بعضاً، ويحتمل أن يريد به كل واحد منهم بنفسه بأنه يخونها، وسماه خائناً لنفسه من حيث كان ضرره عائداً عليه، أي إمّا أن تختانون أنفسكم، كل واحد يخون الثاني، كل منهم يريد أن يعمل ولكن ممنوع منه، أو أن شخص يخون نفسه يتحدث مع نفسه، وسميت المسألة خيانة لأنه يعود بالضرر على نفسه، ولكن ولله الحمد جاءت فيه الرخصة.

قوله تبارك وتعالى: {فَتَابَ عَلَيْكُمْ} يحتمل معنيين:

١/ قبول التوبة من خيانتهم لأنفسهم. ٢/ التخفيف عنهم بالرخصة والإباحة.

قوله تعالى {عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ} أي خفف عنكم، وقوله عقيب القتل الخطأ: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ} وقوله تعالى {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} ولم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم ما يوجب التوبة منه.

قوله تبارك وتعالى: {فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ} - يحتمل العفو من الذنب، ويحتمل التوسعة والتسهيل.

قوله تبارك وتعالى: {فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ} كناية عن الجماع، أي قد أحلّ لكم ما حرم عليكم، وسمي الوقاع مباشرة لتلاصق البشريتين فيه، قال ابن العربي: هذا يدل أن سبب الآية: جماع عمر رضي الله عنه، لا جوع قيس، لأنه لو كان السبب جوع قيس لقال: فالآن كلوا، فابتدأ بالمباشرة لأنه المهم الذي نزلت الآية من أجله، فالمباشرة في شأن عمر، وقوله (وكلوا وأشربوا) هذا في شأن قيس، فالآية عامة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله تبارك وتعالى: {وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} المراد بهذا به عدة أقوال:

- القول الأول: أبو هريرة وأبن عباس وأنس وغيرهم: الولد.
- القول الثاني: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الجماع.
- القول الثالث: قال ابن عباس: طلب ليلة القدر.

• **القول الرابع:** قال قتادة: ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم.

الحافظ إمام المفسرين الطبري رحمه الله تعالى اختار أن الآية أعم من هذا كله الإنسان يبتغي ما كتبه الله له من الخير والصالح في الدنيا والآخرة.

قوله تبارك وتعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} يقول العلماء جواب لنازلة قيس.

قوله تبارك وتعالى {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} أباح الله الأكل والشرب والجماع في أي الليل شاء الصائم، إلا أن يتبين ضياء الصبح من سواد الليل، وعبر عن ذلك بقوله {الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} ورفع اللبس بقوله {مِنَ الْفَجْرِ}.

كما جاء الحديث الذي رواه البخاري أنزلت {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} ولم ينزل {مِنَ الْفَجْرِ} فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في أحد رجليه الخيط الأبيض، والرجل الأخرى الخيط الأسود، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، ظنوا أن المسألة خيوط عادية، يربط هذا وهذا وينظر حتى يبين، والحقيقة والمقصود هو الفجر ضياء الصبح، فأنزل الله بعد {مِنَ الْفَجْرِ} فعلموا أنما يعني الليل والنهار.

وفي هذا المقام يروي أصحاب السنن قصة عدي بن حاتم قال لما نزلت هذه الآية:

"لما أنزلت هذه الآية {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} عمدت إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر إليهما، فلما تبين لي الأبيض من الأسود أمسكت، فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بالذي صنعت فقال: إن وسادك إذن لعريض، إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل" والمقصود هنا بياض النهار وسواد الليل، كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم.

العلماء استنبطوا من قول الله تبارك وتعالى {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} على استحباب السحور لأنه من باب الرخصة والأخذ بها مطلوب، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَسْحَرُوا فَإِنَّ فِي السَّحْرِ بَرَكَةً)، وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنْ فَصَلَ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكَلَةُ السَّحْرِ) وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على فضل السحر وأن الأفضل أن يؤخر، لما رواه الإمام أحمد عن أبي ذر قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْإِفْطَارَ وَأَخْرَوْا السَّحْرَ).

هناك مسألتان:

← **المسألة الأولى:** أخذ أهل العلم من جعله تبارك وتعالى الفجر غايةً لإباحة الجماع والشراب والطعام؛ لمن أراد الصيام، أن من أصبح جنباً فليغتسل وليتم صومه ولا حرج عليه، وهذا هو مذهب

الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً.

واستدلوا بما رواه البخاري ومسلم في حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أنهما قالتا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من جماع غير احتلام، ثم يغتسل ويصوم، وفي حديث أم سلمة ثم يفطر ولا يقضي، وفي صحيح مسلم عن عائشة: أن رجلاً قال يا رسول الله تدركني الصلاة- صلاة الفجر- وأنا جنبٌ أفصوم ؟ -جامع في الليل ولكنه لم يغتسل آخر الاغتسال وأذن الفجر وهو لم يغتسل- فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (وأنا تدركني الصلاة وأنا جنبٌ أفصوم) فقال: لست مثلنا يا رسول الله فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال عليه الصلاة والسلام: (والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي).

◀ **المسألة الثانية:** لما بين سبحانه محظورات الصيام وهي الأكل والشرب والجماع، ولم يذكر المباشرة وغيرها دل ذلك على صحة صوم من قبل وباشر، وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يقبل نساءه وهو صائم، ولكن قد الإنسان يفتح عليه أبواب أخرى ولا يملك زمام نفسه، ثم يقع في الجماع الذي هو من أعظم المفطرات.

قوله تبارك وتعالى: {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} هذا يقتضي الإفطار عند غروب الشمس حكماً شرعياً، كما جاء في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، فقد أفطر الصائم).

والسنة هي تعجيل الفطر، لقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل: (إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعَجَلَهُمْ فطراً).

◀ **وهنا مسألة** أخذ أهل العلم عن هذه الآية {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} النهي عن الوصال، وفي الصحيحين النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تواصلوا، قالوا يا رسول الله: إنك تواصل؟ قال: إني لست كأحد منكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني قال: فلم ينتهوا عن الوصال فواصل به النبي صلى الله عليه وسلم يومين وليلتين ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم كلنكل بهم).

يقول تبارك وتعالى: {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} بين جل وعلا أن الجماع يفسد الاعتكاف، وقد أجمع أهل العلم أن من جامع امرأته وهو معتكف أن هذا مفسد لاعتكاف، أما المباشرة من غير جماع وهي حقيقة مكروهة بالنسبة للمعتكف، وبعض أهل العلم يرى أنها حرام، استدلوا أن عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف، لكن هذا محمول على أنها كانت ترجله بدون شهوة، أما إذا كان بشهوة فهي محظورة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا في الرجل يعتكف في المسجد في رمضان، فحرم الله عليه أن ينكح النساء ليلاً أو نهاراً حتى يقضي اعتكافه.

❖ **ومعنى هذه الآية:** لا تقربوهن مادمت عاكفين في المسجد ولا في غيره، وكذا قال مجاهد وغيره،

فالأمر المتفق عليه أن المعتكف يحرم عليه النساء مادام معتكفاً لمسجده، أما لو ذهب لمنزله لحاجة فلا يحل له أن يثبت فيه إلا بمقدار ما يقضي حاجته من بول أو غائط أو غيره، وليس له أن يقبل امرأته، أو يضمها إليه، ولا أن ينشغل بشيء من أمور الدنيا، والاعتكاف عبادة من أفضل العبادات.

الاعتكاف لغة: الملازمة يقال عكف على الشيء إذا لازمه مقبلاً عليه.

اصطلاحاً: ملازمة طاعة مخصوصة في وقت مخصوص على شرط مخصوص في موضع مخصوص.

قوله تبارك وتعالى: {وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} جملة في موضع حال، وأجمع العلماء أنه ليس بواجب، سنة، لكن يجب التعاون على إحيائها والالتزام بمحدودها حتى ينتهي.

مسألة: استدل أهل العلم بقوله تبارك وتعالى {فِي الْمَسَاجِدِ} على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد.

لكن اختلفوا ماذا يراد بالمساجد هل هناك مساجد معينة، أو الأمر مفتوح؟ **على أقوال:**

• **القول الأول:** ذهب قول إلى أن الآية خرجت على نوع من المساجد وهو ما بناه نبي، كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والأقصى، ولا يجوز الاعتكاف في غير هذه المساجد الثلاثة.

• **القول الثاني:** قال آخرون لا اعتكاف إلا في مسجد تجمع فيه الجمعة "تقام فيه الجمعة" حتى لا يخرج المعتكف من مسجده إلى مسجد آخر.

• **القول الثالث:** قال آخرون الاعتكاف في كل مسجد وهذا هو القول الصحيح.

قوله تبارك وتعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا} أي هذا الذي بيناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه، وما أبجنا فيه وما حرمننا إلى غير ذلك، حدود الله جل وعلا، أي شرعها الله وبينها بنفسه، قال ابن الضحاك ومقاتل في قوله {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ}: أي المباشرة في الاعتكاف، لكن الآية عامة فيما سبق.

قوله تبارك وتعالى {فَلَا تَقْرُبُوهَا} أي لا تجاوزوها وتعتدوها.

قوله تبارك وتعالى {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ} أي كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفصيله، كذلك يبين سائر الأحكام للناس على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، قوله جل وعلا {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} أي يعرفون كيف يهتدون وكيف يطيعون، كما قال تعالى {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}.